مجلة جامعة الملك سعود، م ١٢، الآداب (١)، ص ص ٤٣ ـ ٨٠ (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

عفة عمر بن أبي ربيعة بين الواقع والوصف

عبدالله بن سليمان الجربوع

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود،
الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر بتاريخ ١٧/ ٢/ ١٤١٨هـ ؛ وقبل للنشر بتاريخ ٢٣/٨/١٤١٨هـ)

ملخص البحث. يعد عمر بن أبي ربيعة أبرز شعراء الغزل الحضري الذي ازدهر إبان الحقبة الأموية. ولم يكتف هذا الشاعر بالتعبير عن حبه بلغة صافية وأسلوب شعري رقيق، لكنه أيضًا جعل من تصوير حب النساء له وتعلقهن به شغله الشاغل وموضوعه المفضل الذي سخَّر له جل طاقته الشعرية. لقد تتبع النساء من ذوات الجمال والمركز الاجتماعي؛ كانت النسوة أيضًا يتعرضن له طلبا للشهرة والمكانة. ويبدو أن المجتمع المكي كان يجد متعة في هذه اللعبة الشعرية الغزلية التي ابتدعها عمر.

ولقد توسع الرواة كثيرًا في أخباره، وحاكوا الكثير من القصص عن حياته وعن مغامراته الغزلية. ولكن صورته اختلطت على الدارسين قدماء ومحدثين، ولهذا تباينت آراؤهم واختلفت أحكامهم على عفته. فبعضهم يرى أنه فعل كل ما قاله في شعره؛ على حين يرى آخرون أنه كان يقول ما لم يفعل. وانطلاقا من هذه الإشكالية، سيتناول هذا البحث عددا من قصائده، في محاولة لتقديم قراءة ملائمة لخطابه الغزلي.

رزق شاعر قريش في العصر الأموي، عمر بن أبي ربيعة، شهرة في شعر الغزل لم يصل

إليها شاعر قبله . لقد أعجب بشعره الشعراء [(١)] والنقاد [(٢)] والرواة [(٣)] وتحدثوا عن سيرته

(١) سمع الفرزدق رجلا ينشد شعر عمر بن أبي ربيعة فقال : « هذا والله الذي أرادت الشعراء أن تقوله فأخطأته ، وبكت على الطلول » . ومنهم أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، *العقد الفريد* ، شرحه وضبطه وصححه أحمد أمين وآخرون (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥ م)، ٥ : ٣٩٧. وفي رواية *الأغاني* : « هـذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه . » أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، *كتاب الأغاني* (القاهرة : مصور عن طبعةدار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمةوالطباعة والنشر ، د.ت.) ، ١ : ٧٥ ، ١١٦ . وحول رأي الفرزدق في غزل عمر ، انظر : *الأغاني* ، ١ : ١٤٩ .

وأعجب بشعر عمرجماعة من معاصريه وفضلوه على غيره من شعراء النسيب ، ومن هؤلاء الشعراء : جميل بن معمر ، الأصفهاني، *الأغاني*، ١ : ١١٤ـ١١٦ ؛ ونصيب بن رباح ، *الأغاني*، ١ : ٧٤ ، ١٠٦ ؛ وجرير بن عطية ، *الأغاني* ، ١ : ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٧٣ ؛ وكثير عزة ، *العقد الفريد* ، ٥ : ٣٧٢ ؛ وانظر : محمد بن يزيد المبرد ، *الكامل* ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ٢ : ٦٨٦؛ محمد ابن عمران المرزباني، *الموشح*، وقف على طبعه محب الدين بن الخطيب ، ط٢(القاهرة، المطبعة السلفية ، ١٣٨٥هـ)، ص ١٤٨ .

(٢) يقول صديق عمر ، وناقد أشعاره ابن أبي عتيق « لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب ، وعلوق بالنفس ، ودرك للحاجة ، ليست لشعر ، وماعُصي الله جل وعز بشعر أكثر مما عُصي بشعر ابن أبي ربيعة ، فخذ عني ما أصف لك ، أشعر قريش من دق معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه وأنارت معانيه ، وأعرب عن حاجته ، » الأصفهاني، *الأغاني* ، ١ : ٢١٠٨ ، ٢١٠٩ . وحدث الزبير بن بكار بخبرحدثته به ظمياء مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت : سمعت جدك يقول : « إن لشعرعمر بن أبي ربيعة لموقعا في القلب ، ومخالطة للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعر يسحر لكان شعره سحرا » *الأغاني* ، ١ : ١٠٧ . وعن رأي ابن سلام في شعر عمر انظر محمد بن سلام الجمحي ، *طبقات فحول الشعراء* ، تحقيق وشرح محمود محمد شاكر (القاهرة : مطبعة المدني ، ١٣٦٤ هـ/ ١٩٧٤ م) ، ٢ : ٦٤٨ ، ٦٤٩ .

(٣) سئل حماد الراوية عن شعر عمر بن أبي ربيعة ، فقال : « ذلك الفستق المقشر الذي لا يشبع منه»، ابن عبدربه، *العقد الفريد* ، ٥ : ٢٧١ ؛ الأصفهاني، *الأغاني* ، ١١ : ٧٥ . ونسب ابن عبد ربه القول السابق إلى الأصمعي أيضا ، *العقد الفريد* ، ٥ : ٣٨٥ .

وأخلاقه. وأجمع القرشيون على اختلاف طبقاتهم وميولهم على تقديمه لما كان لشعره من منزلة ومكانة في نفوسهم لم ينلها شاعر من شعرائهم قبله. وقد بلغ من حب القرشيين لشعره أنهم كانوا يستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره. [٤] لقد تناقل الناس شعره وأعجبوا به وظلوا يرددونه ويسألون عن جديده. ولم يقتصر هذا الأمر على طائفة دون أخرى، فعباد مكة وفقهاؤها كانوا يرددون شعره في المسجد الحرام وينشدونه، وكانوا يستمعون إليه، ويستنشدون من يحفظه ويكتبون بعضه. [٥] ولم يقتصر هذا الاهتمام على المكيين داخل مكة، بل تجاوز ذلك إلى الخلفاء الأمويين، [٦] وقد أشار الأصفهاني إلى هذا التأثير من خلال الكثير من الروايات التى ساقها في هذا المعنى.

لقد كان بعض القرشيين يعرفون لعمر وشعره هذا التأثير، ولذا حالوا أحيانا دون وصوله إلى جمهرة النساء. [٧]

---

(٤) حدث الزبير بن بكار فقال: «أدركت مشيخة من قريش لايزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعرا من أهل دهره في النسيب، ويستحسنون منه ماكانوا يستقبحونه من غيره من مدح غيره والتحلي بمودته، والابتيار في شعره» الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ١١٨.

(٥) أخبر محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي فقال: «أن عمر بن أبي ربيعة أتى عبدالله بن عباس وهو في المسجد الحرام فقال: متعني الله بك! إن نفسي قد تاقت إلى قول الشعر ونازعتني إليه، وقد قلت منه شيئا أحببت أن تسمعه وتستره علي فقال: أنشدني، فأنشده:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

فقال له: أنت شاعر يا ابن أخي، فقل ماشئت. قال: وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري وهو راكب، فوقف ومازال شانقا ناقته حتى كتبت له،» الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٨١؛ وانظر أيضا: ١: ٧٢، ٧٣.

(٦) الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ١١٩.

(٧) الخبر في الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٧٤، ٧٨ وفي خبر للزبير بن بكار قال حدثني عمي قال حدثني أبي قال: قال شيخ من قريش: لاترووا نساءكم شعر عمر بن أبي ربيعة لايتورطن في الزنا تورطا. *الأغاني*، ١: ١٤١. وهذا الخبر أيضا حدث به الزبير عن هشام بن عروة؛ *الأغاني*، ١: ٧٤.

موقف الرواة من عفته

تُعدّ ترجمة عمر في *الأغاني* أطول ترجمة ذكرها الأصفهاني لشاعر في كتابه،[٨] حتى أن من يقرأ تلك الترجمة يخيل إليه أن الناس لم يكن لهم آنذاك من هَمّ إلا أخبار عمر وشعره. وكأن اسمه يتردد على كل لسان، وأخباره تتصدر المجالس والمنتديات، وكأنها لا تتم إلا بسماع شعره. هذا التوسع في الأخبار عن حياة عمر، وكثرة القصص عنه، جعل صورته تختلط على الرواة القدماء أنفسهم، كما أفضت إلى تشويه صورته عند بعض الدارسين المحدثين.

فمنذ عصر عمر بن أبي ربيعة وحتى يومنا هذا، تباينت آراء الدارسين، واختلفت أحكامهم حول عفته. فبعضهم يرى أن عمر كان صاحب عبث وفجور، على حين يرى البعض الآخر أنه كان يقف عند حد الوصف لايجاوزه إلى معترك السلوك.

هذا الاختلاف في الحكم على عفته والذي يصل إلى حد التناقض، يعود في رأي الباحث إلى سببين أساسيين، تدورحولهما -في الغالب- آراء معظم الدارسين. فالقائلون بعبث عمر ولهوه متأثرون بتلك الروايات التى ساقها الإخباريون عنه، والتى روى الأصفهاني في ترجمته لعُمرعددا منها. أما الفريق الآخر فلا يحكم على عمر وعشقه من خلال المرويات والأخبار بقدر ما يعتمد على ما جاء في شعره.

وكان ممن صرّح بعفة عمر وقال بها من القدماء: الزبير بن بكار، حيث قال: «لم يذهب على أحد من الرواة أن عمر كان عفيفا يصف ويقف، ويحوم ولا يرد،»[٩] وقد نسب الأصفهاني إلى الزبير مجموعة من الروايات مفادها أن عمر كان يقول ما لم يفعل.[١٠] والزبير الذي يقطع بعفة عمر لم يغفل ذكر ما نقله الرواة عنه. فقد ساق طائفة من الروايات التي تصف عمر شاعرا محققا فعل كل ما قاله في شعره.[١١] ومن القدماء الذين صرحوا بعفة عمر، الحصرى قال: «وكان عمر على غزله، وما يذكره في شعره

---

(٨) الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٦١- ٢٤٨.

(٩) الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ١١٩.

(١٠) الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٢٢٣، ٧٧٢.

(١١) الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٧٥، ٧٧، ١٥٣.

عفيفا . »[١٢] ومنهم الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر والتى استأثرت مع زينب بنت موسى الجمحية بأكبر قدر من غزل عمر . فقد سألها الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق فقال لها : أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئا ؟ قالت : نعم « أما إنه يرحمه الله كان عفيفا عفيف الشعر . » [١٣]

أما الذين شككوا في عفة عمر وقالوا بها من القدماء فمنهم : الجاحظ قال : «وأما بنو مخزوم فيزعمون أن ابن أبي ربيعة لم يحل إزاره على حرام قط ، وإنما كان يذهب في نسيبه إلى أخلاق ابن أبي عتيق ، فإن ابن أبي عتيق كان من أهل الطهارة والعفاف، وكان من سمع كلامه توهم أنه من أجرأ الناس على فاحشة .

وما يشبه الذي يقول بنو مخزوم ما ذكروا عن قريش والمهاجرين ، فإنهم يقولون: إن عمر بن أبي ربيعة إنما سمي بعمر بن الخطاب ، وإنه ولد ليلة مات عمر . فلما كان بعد ذلك ذكروا فساد هذا وصلاح ذلك فقالوا : أي باطل وُضع ، وأي حق رُفع !! ومثل هذا الكلام لا يقال لمن يوصف بالعفة الثابتة . »[١٤]

وفي خبرين منفصلين لابن قتيبة [١٥] والمرزباني [١٦] قالا : « حج عبد الملك بن مروان فلقيه عمر بن أبي ربيعة بالمدينة ، فقال له عبد الملك : يا فاسق ! قال : بئست تحية ابن العم على طول الشحط ! قال : يا فاسق ، أما إن قريشا لتعلم أنك أطولها صبوة وأبطؤها توبة ألست القائل :

---

(١٢) إبراهيم بن علي الحصري ، *زهر الآداب* ، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ٣ (القاهرة : مطبعة السعادة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)، ١ : ٢٦٤ .

(١٣) الأصفهاني، *الأغاني* ، ١ : ٢٣٧ .

(١٤) عمرو بن بحر الجاحظ ، *الحيوان* ، تحقيق عبد السلام محمد هارون وشرحه ، ط ٢ (القاهرة : مطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ، ٢ : ٨٤ .

(١٥) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، *الشعر والشعراء* ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط ٢ (القاهرة : دار المعارف ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) ، ٢ : ٥٥٧ .

(١٦) المرزباني، *الموشح*، ١٨٤ ؛ وانظر : الحصري، *زهر الآداب* ، ١ : ٨٩.

ولـــولا أن تعنفني قريش مقال الناصح الأدنى الشفيق
لقلـــت إذا التقينا قبليني ولو كنا على ظهر الطريـــق

وغير عبد الملك من الخلفاء أنكر على عمر تهتكه ووصفه الغواني في شعره .

ومن هؤلاء عمر بن عبد العزيز [١٧] حتى صديق عمر بن أبي ربيعة وناقد أشعاره، ابن أبي عتيق فيقول عن شعره « وما عُصى الله عز وجل بشعر أكثر مما عُصى بشعر بن أبي ربيعة »[١٨] ونعت عمر بالفاسق يظهر أنه وصف أطلق على عمر واشتهر به في أوساط القرشيين رجالاً ونساءً . فمن بين شريفات قريش اللائي تعرض لهن عمر في غزله ، وأطلقن عليه هذه الصفة ، عائشة بنت طلحة [١٩] وكلثم بنت سعد المخزومية [٢٠] وفاطمة بنت عبد الملك بن مروان [٢١] وحينما أنشد ابن أبي عتيق قول عمر :

ليت ذا الدهر كان حتما علينا كل يومين حُجة واعتمارا

قال : « الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتم لك فسقك . » [٢٢]

وكما تضاربت آراء القدماء حول عفة عمر ، تباينت حولها أيضا آراء الدارسين المحدثين : فشوقي ضيف يرى « أن من الخطأ أن يحكم على عمر وعشقه من هذه الأحاديث التى دارت عنه في الجزء الأول من كتاب *الأغاني* ، فأكثرها كتب لتسلية الناس والترفيه عنهم ، لا لوصف حقيقة عمر وحبه ، فإذا سلمنا بها وصنعنا منها حياة عمر وعشقه نكون قد حرفنا هذه الحياة وذلك العشق بمقدار ما حرف القصاص فيهما . » [٢٣]

---

(١٧) ابن عبدربه، *العقد الفريد* ، ٢ : ٩٢ ، ٩٣ ؛ انظر موقف سليمان بن عبد الملك من شعر عمر في المرزباني، *الموشح* ، ١٨٤ .

(١٨) الأصفهاني، *الأغاني* ، ١ : ١٠٨ .

(١٩) الأصفهاني، *الأغاني* ، ١ : ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٢٠) الأصفهاني، *الأغاني* ، ١ : ٢٠٦ .

(٢١) الأصفهاني، *الأغاني* ، ١ : ١٩٠ ، ١٩٢ ؛ وانظر أيضا: *الأغاني* ، ١ : ٢٣٢ .

(٢٢) الأصفهاني، *الأغاني* ، ١ : ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٢٣) شوقي ضيف ، *التطور والتجديد* ، ط٢ (القاهرة : دار المعارف، ١٩٥٩م)، ٢٤٣ .

وبعد أن عرض الدكتور ضيف لبعض ذلك القصص الذي حكاه صاحب *الأغاني*، حكم على فساده وقال رأيه في عفة عمر : « ولذلك كنا لانشك في عفة عمر ، كما شك القدماء، فمثله في تربيته وعواطفه لا يكون إباحيا ، ولعل ذلك كان سببا مهما في أن نساء قريش كن يبرزن له ، ويتحدثن إليه . » (٢٤)

وبين واقع عمر وشعره تحدث شكري فيصل فذكر أنه يريد أن يقف الوقفة الأطول عند هذا السؤال : هل كان كل شيء قصه (عمر بن أبي ربيعة) في شعره أو نقله الرواة صحيحا واقعيا، أم كان من لغو الحديث وتشقيق الكلام ؟ وقد أجاب عن تساؤله هذا بقوله : «وأغلب الظن أن عمر كان يتخذ الغزل في كل فترات حياته ألهية. كان ألهية يحققها ،وكان ألهية يثرثر بها، وكان ألهية يملأ بها هذا الفراغ ، ويروى بها هذا الشباب، ويعوض مافاته من مجد الحكم وسلطان السياسة . فلئن لم يكن عبد الملك في الشام فليكن الذي يتغزل بابنة عبد الملك وأخته . ولئن لم يكن له تقدير آل الحسين فليتغزل بسكينة بنت الحسين ، ولئن لم يكن له العرش والتاج فليكن عرشه في القلوب التى يغزوها، وتاجه من القلوب التى يعبر عنها . » (٢٥) وأجدني أتفق مع الدكتور شكري فيصل فيما ذهب إليه من أن عمر كان يتخذ الغزل في كل فترات حياته ألهية ، إلا أني أختلف معه فيما توصل إليه من أن عمر حينما فقد مجد الحكم وسلطان السياسة عوض عنه بالغزل بنساء السياسيين . هذا الرأي يمكن أن يكون مقبولاً ، لو أن الغزل في هؤلاء النسوة اقتصر على عمر وحده . لكن يلاحظ أن غيره من شعراء الغزل في مكة شبب بالأسماء نفسها التي تغزل بها عمر . فالحارث بن خالد المخزومي الذي كان والياً على مكة أثناء خلافة عبد الملك بن مروان ، صرف كل شعره في الغزل بعائشة بنت طلحة يذكرها صراحة مرة ، أو يكني عنها باسم جاريتها بُسْرة أو بِشْرة، (٢٦) كما تغزل بسكينة بنت

(٢٤) ضيف، *التطور والتجديد* ، ٢٥٥ .

(٢٥) شكري فيصل ، *تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام* ، ط ٢ (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م) ، ٣٢١ ، ٣٢٣ .

(٢٦) الحارث بن خالد المخزومي ، *شعر الحارث بن خالد المخزومي* ، تحقيق يحيى الجبوري ، ط ٢ (الكويت : دار القلم ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، انظر القصائد والمقطوعات التي تحمل الأرقام ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ .

الحسين. (٢٧) لقد كان الغزل بهذه الفئة من النساء ظاهرة مألوفة وشائعة عند شعراء الغزل في مكة. مما يعني أن عمر لم يكن معنيا بالتعويض، وإنما قصد بهذا الشعر الفني نساء الطبقة الراقية، تلبية لتلك النسوة التي كانت تتعرض للشعراء رغبة منهن في الشهرة وذيوع أسمائهن. كما أن عمر كان رجلاً وسيما يهتم بمظهره وهيئته، وقد اجتمع له مع ذلك عراقة النسب والجاه والمال. وكان شاعرا يعشق الجمال والمتعة واللهو ومن أجل ذلك عشق المرأة الحسناء، ومن أجلها كاد أن يتخلى عن أي هدف آخر، فهو كما ذكر الدكتور جبور: «قد زهد في التجارة التي كانت لأبيه، وتركها بأيدي رجال يعملون له وزهد في الإمارة والولاية، فعهد بها لأخيه من أبيه ابن الجارية الحبشية الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وزهد في مدح الخلفاء لأنه أراد أن يمدح المرأة وحسب، ومن أجل الحسان كان يقصد موسم الحج، ويزين رحائله بقطوع الديباج والحلل المزركشة، ويتطيب.» (٢٨)

وبين شعراء الغزل في مكة، لم يتخذ النسيب وسيلة لإغاظة الخصوم السياسيين، إلا عند شاعرين من شعرائها. هما عبيد الله بن قيس الرقيات الذي كان زبيري الهوى، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. تغزل بأم البنين امرأة الوليد بن عبد الملك وبنت عبد العزيز بن مروان فأغاظ عبد الملك وابنه الوليد وأخاه عبد العزيز، كما تغزل بعاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان. (٢٩) والشاعر الآخر هو العرجي الذي شبب بجَيْداء أم محمد بن هشام وجَبْرة زوجته ليغيظه وبسبب هذا الغزل كانت نهاية حياة العرجي، (٣٠) ولو كان غرض عمر التعويض وإغاظة رجال الحكم والسياسة عن طريق التشبيب بنسائهم لاقتصر في غزله على نساء هذه الفئة. لكن واقع

---

(٢٧) شعر *الحارث بن خالد المخزومي*، ق رقم ١٥.

(٢٨) جبرائيل جبور، *حب عمر بن أبي ربيعة وشعره*، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧١م)، ١٩.

(٢٩) عبيد الله بن قيس الرقيات، *ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات*، تحقيق محمد يوسف نجم (بيروت: دار صادر، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، القصائد ١٧، ٤٨، ٥٥، ٦٠؛ وعن غزله في عاتكة انظر القصيدة ٥٠، والأصفهاني، *الأغاني*، ٥: ٧٦.

(٣٠) الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩.

شعر عمر وهو أهم مصدر يمكن الاعتماد عليه ، يظهر أن قصائده الغزلية في نساء رجالات الحكم وأهل السياسة لا تعادل شيئا من حيث العدد في تلك القصائد التي خص بها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث وزينب بنت موسى الجمحية . كما يوجد في شعر عمر قدر كبير من القصائد والمقطوعات تخلو من ذكر اسم أية امرأة معينة من النساء . مما يعني أن عمر قصد في غزله المرأة الحسناء بوجه عام . كما يعني أيضا أن عمر نظم شعره في تلك النسوة وكان دافعه الإعجاب ، فهو موكل بالجمال يتبعه حيث وجده وليس له منه إلا لذة النظر .

والقول بأن عمر أراد من الغزل بنساء رجالات الحكم التعويض عن مافاته من مجد الحكم يتعارض مع ماذهب إليه المرحوم شكري فيصل في موضع آخر من كتابه حيث يقول : « وكان الشعر في الحياة العربية يمثل الحياة الجادة ، وعند عمر اتخذ الوجهة الأخرى ، الوجهة التي لا تنظر إلى أعباء الحياة وإنما تنظر إلى أهواء النفس ، ولا تلقى الدنيا من وجهها الكالح بمقدار ماتراه من وجهها هذا العابث اللاهي ، ولا تفكر في الغايات الكبرى التي كان يفكر فيها شعراء الفرق والمذاهب ، أو في الثارات والحروب ، والغنائم والأحلاف ، والعداوات والأعطيات التي كان يفكر فيها الشاعر الجاهلي . وإنما يفكر في الذي يلقى من الحواج وفي الذي ينظر إليه من محاسنهن ويأسره من حبهن ، ويفكر في العالم الداخلي للأنثى كيف يسلط عليه وكيف يبلغ مايريد من إغرائه . إنه إنما يفكر في ذاته منصرفا عن كل ماحوله ، فليست الخلافة في الشام ولا الخصومات في الحجاز ولا الفتن في العراق ، ليست هذه الجيوش الغازية هنا وهناك تضرب في البر والبحر ، وتغدو مبكرة وتروح مهجرة . . . ليست هذه كلها ذا بال في حياته لأنه يعيش في معزل عنها ، بعيدا من أن يتأثر بها ، فضلا عن أن يستجيب لها . »[٣١] أما الدكتور طه حسين فقد أخَّرتُ الحديث عن رأيه قصدًا وكان حقه أن يقدم . فهو يرى أن القدماء اختلفوا حول عفة عمر اختلافا شديدا . ورأوا فيه رأيين متناقضين . وأنه لا يوجد بين هذين الرأيين فيما يعتقد رأي وسط . ولذا فقد اختار أن يكون هو صاحب هذا الرأي الوسط . فهو يتوسط بين الذين زعموا أن عمر كان مسرفا في الفجور والذين زعموا أنه كان مسرفا في

(٣١) فيصل ، *تطور الغزل* ، ٤٩٠ ، ٤٩١ .

العفة . فهو يرى أن عمر لم يكن مسرفا في اللهو ، كما أنه لم يكن مسرفا في حسن السيرة . ويرى أنه صادق كل الصدق حين يؤكد أنه لم يقدم على حرام ، ولكن صدقه هذا مقصور على طائفة من شريفات قريش وغير قريش . كان عمر بن أبي ربيعة مسرفا في وصف اللهو مقتصدا في اللهو نفسه ، ومن زعم أنه صادق حقا حين يقسم ما أقدم على حرام قط فهو مخدوع ، ومن زعم أنه صادق حقا في أنه فعل كل ما قال فهو مخدوع أيضا . إنما كان عمر يعيش عيشة الرجل المترف الذي أتيحت له أسباب اللهو ووسائله ، ولكنه مع ذلك معتد بشرفه ومكانته وما ألف الناس من الأوضاع الاجتماعية ، فهو يلهو ولكن بمقدار ، وهو يصف ولكن بمقدار . وفي موضع آخر قال طه حسين : « إن عُمر رئيس مذهب في الغزل الإباحي ، وأنه كان يستبيح لنفسه من اللذات ما أباح له الدين وما لم يبح . » (٣٢)

وينكر شوقي ضيف أن يكون عمر إباحيا في قوله : ويرى أنه كان صريحا في وصفه لمغامراته مع صواحبه من الفتيات النبيلات ، ولكن صراحته لا تنتهي إلى إباحية ولا إلى إثم ، ومغامراته لا تتعدى اللقاء والمتعة والحديث . (٣٣) ويفسر باحث آخر الإباحية في الحب بقوله : إنها تعبير عن قيام العلاقات العاطفية الجنسية بين الرجل والمرأة ، وتحقيق مايبيحه الدين ويكفره من أشكال الاتصال بينهما ويستغرب موقف بعض المؤلفين الذين يحكمون على هذا الشاعر أو ذاك بالإباحية أو يبرئونه منها دون أن يذكروا شيئا مما يبيحه الدين ومما لا يبيحه الدين ، مع أن الإسلام يحدد بوضوح جميع الأمور التي يحظرها على المسلمين ، وجميع الأمور التي يجيزها لهم ، وذلك في أكثر من آية وحديث ، وفي أكثر من موقف وعمل وحكم ، من مواقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأعماله وأحكامه . لقد غفل هؤلاء المؤلفون - أو تغافلوا - عن الآيات التي تميز تمييزا واضحا بين كبائر الإثم والفواحش وبين صغائر الذنوب . ولا ندري كيف تحدثوا عن الإباحية في الغزل والحب وغاب عن أذهانهم معنى اللمم غيابا مطلقا . وقد رأينا أن الإسلام يحظر كبائر الإثم والفواحش ويستثني منها اللمم . واللمم بالممارسة هو النظرة والحديث والغمزة والقبلة

(٣٢) طه حسين ، *حديث الأربعاء* ، ط ٨ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٢٥م) ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ .
(٣٣) ضيف ، *العصر الإسلامي* (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٣م) ، ٣٥٤ .

والعناق . ورأينا أن اللمم حكم يجري على كل بني آدم ، أي أنه طبيعة من طبائع النفس البشرية ، وقد أوله الرسول (صلى الله عليه وسلم) بزنى الجوارح دون الفرج في أكثر من حديث . وفي رأي الباحث أن الإباحية عند شعراء الغزل ليست سوى تعبير آخر عن اللمم بمفهومه الإسلامي كما هو موضح تأويلاً في الحديث الشريف وآراء الصحابة والتابعين المبنية عليه والنابعة منه ، ولهذا فسر قول طه حسين أن عمر والشعراء المحققين كانوا يستبيحون لأنفسهم ما أباح لهم الدين لايمكن أن يعني إلا أنهم كانوا يأتون اللمم الذي يبيحه الدين ويعده من صغار الذنوب والسيئات التي يمكن التكفير عنها .(٣٤)

وحقا كان عمر بن أبي ربيعة يبوح بأسراره ويصرح بلهوه وكان من أبرع شعراء الغزل في عصره وصفا لتفاصيل ماكان يجري بينه وبين صواحبه من أحاديث وأفعال في اللقاءات والخلوات على نحو جعل أهل الورع يقولون عن شعره : « إن الله ماعُصي بشيء كما عصُي بشعر عمر . » ومع ذلك فقد أدرك معاصروه أنه كان يقول مالم يفعل ، وأن غايته من ذلك كان الوصف لا يجاوزه إلى غيره وسيأتي بيان ذلك لاحقا عند الحديث عن مغامراته .

أما المستشرق بروكلمان فيرى « أن عُمر لم يكن عفيفا بقول ، وقصائده قوية الحياة ، غنية التعبير ، فلا شك أن أكثرها صدر عن تجارب حقيقية ، وإن أضاف القصص أشياء إليها . » (٣٥) هذا الاضطراب في الروايات والذي يصل إلى حد التناقض يمكن للباحث تفسيره باختلاف طبيعة الشعر في ديوان عُمر . أعني أن بعض تلك القصائد قالها عُمر في أسماء معروفة تغزل بها ، وفي ديوانه تصادفنا مجموعة من القصائد التي قص فيها عُمر أخبار تلك العلاقات التي وقعت له مع أسماء مشهورة من شريفات نساء قريش وغيرها . (٣٦) وإذا كان عُمر قد سجل في شعره أحداثا وقعت له مع نساء معروفات ذكرهن

---

(٣٤) وليم نقولا شقير ، *العرجي وشعر الغزل في العصر الأموي* ، ط ١ (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ .

(٣٥) كارل بروكلمان ، *تاريخ الأدب العربي* ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ، ط ٢ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٩ م) ، ١ : ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣٦) عمر بن أبي ربيعة ، *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، ط ٣ (القاهرة: مطبعة المدني ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م)، المقدمة ، ٤٤- ٦٢ .

بأسمائهن . فإن هذا لايعنى بالضرورة أن عُمر قد سجل تلك الوقائع كما حدثت ، بل المؤكد أنه صاغها بصورة فنية فيها مبالغة ، وقدر من التزيد في عرض تلك الأخبار والوقائع .

والنوع الثاني في ديوانه قصائد ومقطعات تصور تجارب خيالية عاشها الشاعر في حياته الفنية . [(٣٧)]

أما النوع الثالث في ديوانه فهو الذي يصور فتكه وغدره . [(٣٨)]

وفي دراستنا لعفة عُمر علينا أن نفرق بين سلوك الشاعر ، وبين خياله الفني . وعلينا أيضا أن نميز بين شعر كل طائفة ، وننظر إلى مانظم في كل فئة من تلك الأنواع الثلاثة بطريقة تنسجم والمناسبة التي نظم من أجلها ذلك الشعر .

ففي شعر الفئة الأولى ، نعثر في ديوانه على أسماء لشخصيات واقعية لنساء معروفات من شريفات قريش ، وغيرها من أشراف العرب ، تغزل بهن عُمر وتفنن في وصف حسنهن وجمالهن .

وقد أظهرت قصائده في تلك الأسماء المعروفة أن سعيه وراءهن لم يكن طلبا لمتعة حسية وإنما كان يجد متعته في مجالسة النساء والتحدث إليهن . وأنه كان -في الغالب- يقنع بمتعة هذا الحديث لا يتوخى شيئا سواه . ولعل هذا كان أحد الأسباب التي جعلت النسوة لا يتحرجن من ذكر أسمائهن في شعره . لقد صرف عمر شعره إلى نساء الطبقة الراقية ، فقد أكثر من الغزل بهن ، وشاع ذلك في ديوانه ولمعت في شعره هذه الأسماء : الثريا بنت علي الأموية ، محبوبة عمر الأولى والتي نظم فيها ست عشرة قصيدة صرح فيها علنا باسمها ، [(٣٩)] وزينب بنت موسى الجمحية وهي الفتاة الثانية التي استأثرت مع الثريا بمعظم قصائده . ويظن الرواة أن زينب تلك هي الفتاة التي تزوج منها عمر . وقد

---

(٣٧) انظر على سبيل المثال في : *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، القصائد ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٣ ، ٧٤ .

(٣٨) *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، انظر على سبيل المثال ، القصائد والمقطعات ١٥٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٦٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠٧ ، ٣٣١ ، ٣٦٤ .

(٣٩) *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ٧٣ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٣٠٠ ، ٣١٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٩ .

خصها في ديوانه بما يقرب من عشرين قصيدة ومقطعة . [٤٠] وعائشة بنت طلحة ، [٤١] وسكينة بنت الحسين ، [٤٢] وفاطمة بنت عبد الملك ، [٤٣] وكلثم بنت سعد المخزومية ، [٤٤] ولبابة بنت عبد الله بن عباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، [٤٥] ورملة بنت عبد الله ابن خلف الخزاعية ، [٤٦] وغيرهن .

لقد اتخذ عُمر وغيره من شعراء الغزل في الحجاز من هؤلاء النسوة ذوات المكانة العالية في المجتمع المكي موضوعا لغزلهم . وكان عمر يعد شعره مع هؤلاء النسوة لهوا بريئا ، فهو يقول عن نفسه :

إني امرؤ موكل بالحسن أتبعه لا حظ لي منه إلا متعة النظر [٤٧]

وقد صرح عُمر بعفة علاقته مع صاحباته اللواتي ذكرهن في شعره ، وذكر ذلك في أكثر من قصيدة في ديوانه . ففي قصيدته السينية يتحدث عمر عن لقاء تم على انفراد بينه وبين زينب الجمحية فيقول : [٤٨]

فَلَسْتُ بنَاسٍ لَيلةَ الدار مَجْلسا لزينبَ حتى يعلُوَ الرأسَ رامسُ
خلاء بدَتْ قَمراؤُهُ وتمخّضَتْ دُجنتُهُ وغابَ من هو حارسُ
فما نلتُ منها محرما غير أننا كلانا من الثوب المورد لابسُ
نجيّين نقضي اللهو في غير مَحْرَم ولو رَغمْت ملْكا شحين المعاطسُ

(٤٠) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ١٧ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٦٣ ، ١١٢ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٧٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٥٣ ، ٣١٧ ، ٣٧٥ ، ٤٠٤ .

(٤١) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٣١١ ، ٣٣٨ .

(٤٢) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ١٥٣ ، ٢٦٦ ، ٣٢٨ ، ٤٢٦ .

(٤٣) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ٣٧ ، ٤١ ، ١٧١ .

(٤٤) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ٧٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٨ .

(٤٥) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ٦٣ ، ١٨٦

(٤٦) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ١٣٨ ، ٢٥٥ .

(٤٧) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ٣٨٢ .

(٤٨) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ٢٢٣ .

فعُمر ينفرد بصاحبته يتبادل معها حديث الهوى في غير محرم . وحسبهما من ذلك هذا الحديث الذي يحوطه سياج من الطهر والعفة .

وكان من بين نساء قريش من كانت تتحاشى لقاء عمر ولا تقبل على سماع شعره . منهن كلثم بنت سعد المخزومية التي أخذ عمر يرسل الرسل إليها من جواريه فتردهن خائبات وضاق ذرعا بذلك ، ولم ييأس وألح في طلبه وتمكنت جارية له من إيصال رقعة فيها شعر لعُمر . وفيها يعبر لكلثم عن عفته وبراءة قصده ، فهو يطلب منها أن تجالسه مجلسا واحدا من غير ماعار ولا محرم . يقول :

من عَاشق صَب يُسرُ الهوى قد شَفهُ الوَجْـــدُ إلى كَلْثم
رأتْك عَينَي فدعَاني الـهوى إليْك للْـحـــيْن ولم أعلم
قتَـلْتَنا ، ياحبذا أنتُـــــمُ في غَيرَ ما جـــرْمْ ولا مأثَم

ويُعقب الأصفهاني عَلى هذه القصيدة فيقول إن كلثم لما قرأت الشعر قالت للجارية : إنه خداع ملق ، وليس لما شكاه أصل . [٤٩]

وفي مناسبات مختلفة كان عُمر يستوحي في شعره هذه المعاني التي تعبر عن براءة قصده وطهارة علاقته يقول في الثريا بنت علي : [٥٠]

قد نبا بالقلب منهـــا إذ تواعَدْنا الكثيبـــا
قولُها أحســن شيء بك قد لَفّ حبيبـــا
قولَها لي وهي تُـذْري دمْعَ عينَيْهـــا غُرُوبا
إنَنّــا كُنــا لهــــذَا أنْصَحَ الناس جُيُوبـا
وحـبونـاهُ بــــود لم يكن منَا مَشُوبَـا

ومن أشعاره التي يتعفف فيها قوله : [٥١]

رُبّ لَهْو لَهَوْتُـــــهُ بجَوار رَبَائـــــب
ليس في ذَاك مَحــرمٌ وَإلَه الـمغَـــارب

(٤٩) الأصفهاني، *الأغاني* ، ١ : ٢٠٥ .

(٥٠) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٢٧٠ .

(٥١) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٢٣٧ .

غير أنا نَشْفِي الصــُدو رَ بِذَرْوِ التعاتُـــــــبِ

ويقول في أخرى :[٥٢]

فَهْيَ لنا خُلةٌ نُواصِلُــهاَ من غير مامَحْرم ولا رِيَبِ

وقوله :[٥٣]

فُكّي أسيرًا ياعثيم فإنــه خلط الحياء بِعفةٍ وتَكرُمِ

وقوله :[٥٤]

إذا اجْتَمعْنا هَجَرْنا كُلّ فاحشَةَ عند اللّقاء ، وذاكُمْ مجْلسٌ حسنُ
فذاك دهْرٌ مضَتْ عنا ضلالَتُــهُ وكُلّ دهْرٍ له في سيْرِهِ سَنَـــــنُ

وقوله :[٥٥]

يقولون إني لست أصْدُقُك الـهوى وإني لا أرعـــــاك حين أغـيبُ
فما بال طرفي عفّ عما تسَاقطت لـه أعيُنٌ من معـــشر وقُـلُوبُ

ومعظم شعر عمر في الديوان قصره على وصف هذه الفئة من النساء ذوات المكانة الاجتماعية . وتكشف لنا أكثر من قصيدة ومقطعة في ديوانه طبيعة تلك الصلة التى قامت بين عمر وبين تلك النسوة اللواتي - كما ذكر الدكتور القط - « أردن أن يحققن لأنفسهن شيئا من المكانة الاجتماعية في نطاق ما يسمح به ذلك المجتمع الانفصالي . ولم يكن هناك ما هو أنسب من أن يربطن أسبابهن بسبب فتى من فتيان قريش وشاعر مرموق يلهج الناس بشعره ويتغنى به المغنون . »[٥٦]

وكان هؤلاء النسوة كما صور شعر عمر يسعين إلى هذا اللقاء ، ويتشوقن إليه ، ويرغبن فيه . كما كان عُمر أكثر منهن شوقا ورغبة ، وقد أخبر عمر أن تلك المغامرات التى

---

(٥٢) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ق ٢٦١ .

(٥٣) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ق ٩١ .

(٥٤) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ق ١٢٤ .

(٥٥) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ق ٣٤٦ .

(٥٦) عبد القادر القط ، *في الشعر الإسلامي والأموي* (بيروت : دار النهضــة العربيـــة ، ١٩٧٦م)، ١٩٢ .

قصها في شعره لا تقتصر على صاحبته وحدها بل تسهم في إعداده وتشارك في مجلسه نساء أخريات من صديقات تلك التي جاء يزورها الشاعر . وكان لقاء هؤلاء النسوة مع بعضهن لا يتم إلا بالحديث عن عمر ، فقد أغراهن بوصفه لمحاسنهن فكلفن به وطلبنه .
وفي قصيدته العينية التي مطلعها :

ألم تَسْأَل الأطلال والمُتَرَبّعا ببطن حُليّات دوَارس بلْقَعَا

يذكر عمر أن النسوة قدَ احتلن للقائه بأن أرسلن إليه من يغريَه بلقَائهن ، دون أن يعلم عمر أنه رسول منهن يقول عن هند وأترابها :

فلما تواقفنا وسـلَمتْ أشرقت وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تبالَـهْنَ بالعرفان لمـا عرفْنَني وقُلْن : امرؤٌ باغ أكلّ وأوضعا
وقربن أسباب الصبا لـمتيَّم يقيسُ ذراعا كُلّما قسْنَ إصبعا
فلما تنازعن الأحاديث قلن لي : أخفت علينا أن نغرّ ونُخْدعا
فبالأمس أرسلنا بذلك خالدا إليك وبينا له الشأن أجمعا
فما جئتنا إلا على وفق موعد على ملأ منّا خرجنا له معا
رأينا خلاءً من عيون ومجلسَا دميثَ الرُّبا سهل المحلة مُمْرعا
وقُلنَ كريمٌ نال وصل كرائم فحُقّ له في اليوم أن يتَمتّعَا (٥٧)

وفي قصيدة أخرى يشير إلى لهوه البَريء مع أسماء وأترابها فيقول :

تذكّرْتُ إذ قالت غَداة سُوَيْقَة ومقْلَتُها من شدّة الوجد تدمع
لأترابها : ليت المغيريّ إذْ دَنَتْ به دارُهُ منا أتَى فَيُوَدّعُ
فما رمتها حتى دخلت فُجَاءةً عليها وقلبي عند ذاك يُرَوّعُ
فقلن حذار العين لما رأيْنَني لها : إن هذا الأمر أمر سَيشْنُعُ
فلما تجلى الرَوْعُ عنهن قلْنَ لي هَلُمّ فما عنها لك اليوم مَدْفعُ
فظلت بمرأى شائق وبمسْمَعِ ألا حبذا مرأى هناك ومَسْمعُ (٥٨)

---

(٥٧) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٥٤ .
(٥٨) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٥٥ .

هذه النماذج وغيرها في ديوان عمر ، نعتبرها ترجمة واقعية لسلوكه مع هذه الطبقة من النساء ، فهي تصور طبيعة العلاقة التي قامت بين عمر وهذه الفئة من شريفات قريش وغيرها وتضعها في موضعها الصحيح . كما نلاحظ أن هذا اللون من الشعر الذي تكرر في ديوان عمر ، لم يكن يغضب تلك الشريفات ، لأنهن فهمنه على أنه زاد فني يصور تجارب خيالية ، اخترعها الشاعر من خلال مايرى ويسمع أثناء لقائه بتلك النسوة . وكانت تلك النسوة أيضا « يجدن في هذا الشعر متعة بريئة ، كما يجد فيه أهل بيئتهن الحجازية الحضرية ، من أصحاب المقامات والمنزلة مثل هذه المتعة . »[٥٩]

لقد كانت ظروف المجتمع في تلك الحقبة تسمح بقيام صلات بين الرجل والمرأة من خلال مجالس الشعر والغناء . وكان يحوط تلك العلاقات سياج من الطهر والعفة . وعُمر الذي «لم يدع امرأة من قريش إلا شبب بها ، ماكان له أن يتجاوز العفة في هذا التشبيب . »[٦٠] وتحت تأثير الحياة الاجتماعية في حواضر الحجاز أصابت المرأة ضربا من الحرية لم تكن تنالها من قبل . فقد برزت للرجل واستمعت إلى قصائد الغزل . وتعكس أكثر من قصيدة في ديوان عُمر هذه الصلة التي قامت بين الرجل والمرأة في حواضر الحجاز ،[٦١] على أنه ينبغي أن نشير دائما إلى وجوب الحذر من أقاصيص الرواة . فهم كما لاحظ شوقي ضيف : « قد شوّهوا لنا عُمر ، وشوّهوا معه المرأة المكية والمرأة الحجازية بصفة عامة فيما قصوه عنه وعنها قصصا يتجاوز الواقع في أغلب صوره . »[٦٢]

لقد كان عُمر كما وصفه شوقي ضيف : شاعرا مجددا استجاب لنزعة الحضارة الجديدة في عصره وكان شعره موضع إعجاب الناس من حوله ، حتى الفقهاء من مثل ابن عباس كانوا يروون شعره ويتناقلونه لأنهم لم يجدوا فيه ما حمله القصاصون بعد من عبث ومجون . وإنما وجدوا فيه صورة حية لعصرهم ومجتمعهم قد يكون فيها ظرف ،

---

(٥٩) صلاح الدين الهادي ، *اتجاهات الشعر في العصر الأموي* ، ط ١ (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م) ، ٣٥٣.

(٦٠) طه حسين ، *حديث الأربعاء* ، ١ : ٣٠٨.

(٦١) انظر على سبيل المثال الإحالات : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦.

(٦٢) شوقي ضيف ، *الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية* ، ط ٣ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٦م) ، ٢٧٠ .

وقد يكون فيها مبالغة ، بحكم أن الشاعر ينقلنا إلى عالم يعتمد على القصص والخيال ، ولكن ليس فيها على كل حال ما ينافي العفة الثابتة . (٦٣)

والشيء الذي يلفت النظر في غزل عُمر ، هو كثرة النساء اللواتي تغزل بهن . لقد كثرت الأسماء في شعره فهو تارة يصرح بالاسم وتارة أخرى يلجأ إلى الرمز أو الكنية . (٦٤) وكان يتعرض للنساء في مواسم الحج ، وكان يصور في شعره تعرض النسوة له واحتيالهن للوصول إليه . (٦٥) وسواء أكان عمر يتقرب إلى النساء بهذا الضرب من الوصف لمحاسنهن وبالثناء على جمالهن ، أو إنه ذكرهن لكي يقال أنه تغزل بهن ، أو لأنهن أردن أن يتغزل بهن فلبى طلبهن. (٦٦) فإن الذي يعنينا الوقوف عنده هو ما يميز هذا الشعر من عبث وتهور ، أو ما يظهر عليه من تعفف ونزاهة ، وبراءة قصد ، لا يصدران إلا عن شاعر عفيف .

ويفسر عدد من الدارسين تنقل عُمر بين النساء ومحاكاته لأحاديثهن ووصفه لمجالسه بينهن وإقبالهن على سماع شعره بتحضر المرأة في مكة والمدينة . فقد أتيح لها من الفراغ وأسباب النعمة ما لم يتح لغيرها . ولهذا أنفقت حياتها في الدعة والنعمة . (٦٧) ومع أن المرأة في ذلك العصر كانت ترغب في غزل عمر وتسعى إلى مجالسته ومحادثته فهي أيضا كانت حريصة على شرفها وعفافها .

لقد كان عمر كما وصفه شوقي ضيف « بدع العصر ، وهو طلبة كل فتاة ، تريد أن تظهر في مرآة شعره وفنه . »(٦٨) ولهذا يرى ضيف أن أهم مايميز ديوان عمر « أنه ثمرة

---

(٦٣) شوقي ضيف ، *الشعر والغناء*، ٢٧٤ .

(٦٤) يوسف خليف ، *تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي* (القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥م) ، ٧٧ .

(٦٥) خليل محمد عودة ، *صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة* ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٢٦١ ومابعدها .

(٦٦) جبور ، *حب عمر بن أبي ربيعة* .

(٦٧) ضيف ، *التطور والتجديد*، ٢٤٥ ؛ القط ، *في الشعر الإسلامي والأموي* ، ١٩١ ؛ خليف ، *تاريخ الشعر العربي*، ٧٦؛ الهادي ، *اتجاهات الشعر*، ٣٥٤ .

(٦٨) ضيف ، *الشعر والغناء* ، ٢٤٥ .

حيـاة متحضرة ، استطاع أن يعبر عن جميع جوانبها في نفسه ، كشاب متحضـر . وفي نفس الـمرأة المعاصرة له التي أترف ذوقها وشعـورهـا . »[٦٩] ويذهب الدكتور القط إلى هذا الرأي فيقول : «زاد تحضـر مكـة والمدينة ونشـأت طبقـة من الرجـال والنسـاء عـلى مستوى طيب مـن « ثقافة العصر » ومستوى عال من المكانة الاجتماعية والثروة ، تتطلع إلى أن تحيا حياتها كما ينبـغي أن يعيش الـمرء في مجتمع متحضر . أما الرجال فقد كان الطريق أمامهم إلى هذا التكامل ميسورا إلى حد كبير ، يستطيع الواحد منهم أن يجدّ وأن يلهو وأن يزاوج بين الدين والدنيا في غير حرج ، لأن ذلك عنده هو النمط الطبيعي للحياة المتحضرة . وأمـا النساء فقد كان طريقهن أكثر عسرا ، ولم يكـن أمامهـن مـن سبيل إلى تحقيق شيء من « الوجود الاجتماعي » «والرضا العاطفي » إلا بأن يرتبطن ببعض من يشيد بذكرهن ويطري محاسنهن ويذكرهن بأسمائهن أحيانا أو يكني عنهن أحيانا أخرى خالقا منهن بذلك « سيدات مجتمع » إن صح هذا التعبير . ومن هنا نستطيع أن نفهم تنقل عمر بين النساء من ناحية ، وتصويره النساء مقبلات عليه عاشقات إياه من ناحية أخرى . » [٧٠]

ويفسر شكري فيصل حظوة عمر عند النساء ولغطهن بشعره بقوله : « حين ندرس شخصية هذا الشاعر من وراء الأخبار والحوادث وحين نفسر شعره في ضوء هذه الشخصية التي تريد أن تكون موضع حديث الناس وحب النساء ، وحين نقف وقفة أكثر أناة وهدوءا عند حياة المجتمع الإسلامي في الحجاز في هذا القرن الأول – حين نفعل كل ذلك قد ننتهي إلى القول بأن عمر كان نمطا من الناس تملؤه شهوة النظر ويستبيه حسن الحديث أكثر من أي شيء آخر ويغلب عليه أن يستشعر القدرة دون أن يستثمر دائما هذه القدرة ، ويجب أن يكون قبل كـل شيء موضع ارتقاب وموطن تساؤل واهتمام ، يشير إليه النسـاء إذا وقف ، ويغمغمن باسمه إذ مر ، ويتهامسن به إذا خلون إلى أنفسهن ، ويتغامزن إذا شهدنه ، فذلك حسبه من الحب ومن جولاته ، لا يجاوزه أو لايكاد . . حسبه هذا الحديث الذي يدور بينه وبينهن وهذا المجلس الذي يضمه ويضمهن ، وهذه الوداعة التي يلقاها في غير ما فحش ولا إغراق . »[٧١]

---

(٦٩) ضيف ، *الشعر والغناء* ، ٢٧١ .

(٧٠) القط ، *في الشعر* ، ١٩١ .

(٧١) فيصل ، *تطور الغزل*، ٣٢٢ .

هذه الصورة التي رسمها الدارسون لعمر بن أبي ربيعة تفصح عنها قصائد الديوان، فمعظمها قيل في تلك الأسماء المعروفة من نساء قريش وغيرها من نساء العرب . وتصريح عمر بهذه الأسماء في شعره، وإفشاؤه لما يكون بينه وبينهن من علاقات يؤكد أنه لم يكن عابثا ، فغزله معهن يكاد يخلو من المجاهرة بالفحش والمعاني المكشوفة والعبارات الفاضحة . صحيح أنه كان يصطنع الإثارة في وصف علاقاته بهؤلاء النسوة ، ومع ذلك لانجد في غزله الذي نظمه بهن تهتكا أو صورا فاحشة ، بل نراه في بعض قصائده يجنح إلى العفة سواء في ألفاظه أو في تصوير عواطفه .

وعُمر في حديثه عن مغامراته ، وفي وصف تعرضه للنساء واتصاله بهن كان يبوح بأخبار تلك اللحظات التي يقضيها قرب محبوبته أو في تخيل أنه قربها . وكان يعلن عن ذاته من خلال إفشائه لما تعود الناس كتمانه . لقد تعمد عمر ضروبا من الإثارة على نحو جعل أهل الورع يقولون عن شعره « أن الله ماعُصي بشيء كما عُصي بشعر عمر . »[(٧٢)] فقد كان يبوح بأسراره ويصرح بلهوه غير مبال بالأعراف والتقاليد أو الأوامر والنواهي الدينية، ومع ذلك فقد أدرك معاصروه أنه كان يقول مالم يفعل ، وأنه كان يعبث ويتلهى بهذا الشعر وغايته من ذلك الوصف لا يجاوزه إلى غيره، يقول من قصيدة :[(٧٣)]

ولَقَدْ قالت الحبيبةُ : لولا   كثْرَةُ الناس جُدْتُ بالتّقْبيل
ليس طعم المسك والكافور شيبًا   ثم عُلاّ بالرّاح والزّنْجبيل
حين تنتابُها بأطْيَبَ من فيهَا   طُرُوقاً إن شئت أو بالمقيل

وبعد أن وصف مقبلها في الأبيات السابقة قال :

ذاك ظَنّي ، ولم أَذُقْ طَعْمَ فيها   لا وما في الكتاب من تنزيل

وعُمر كما أشار الزبير بن بكار كان يحوم ولا يرد . فهو يقص في شعره أحداثا ووقائع تحدث له مع صاحباته . وفي وصفه لتلك المغامرات التي يقصها في شعره جرأة وتفصيل مفصل للجمال الجسدي والمتع والشهوات . إلا أن غايته من ذلك تظل فنية أبعد

---

(٧٢) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ١٠٨ ؛ انظر : ابن عبد ربه ، *العقد الفريد* ، ٥ : ٣٨٥ .
(٧٣) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ١٧١ .

ما تكون عن واقعه وسلوكه في الحياة . وما إقبال تلك الفئة من شريفات النساء على شعره وميلهن لسماعه إلا دليلاً يؤكد سلامة قصده ونواياه . صحيح أن عُمر في جرأته واندفاعه لوصف المفاتن قد أغفل التعاليم التي جاءت بها الشريعة والتي تدعو إلى العفة والاحتشام في القول ، وكان عليه أن يرسخ هذه المفاهيم الإسلامية في المجتمع المسلم ، ولا يطلق العنان لعواطفه وأهوائه ويجعلها تتحكم فيه دون قيد أو كبح . كان عليه أن يربط بين الشعر والمواقف السلوكية . وكان عليه أن يلائم بين العاطفة والتعاليم الإسلامية فيتجنب الإثارة والتحريض وتحريك الغرائز لكنه يظل في النهاية وإن توجس البعض من اتجاهه في الشعر شاعرا يهيم في بحور الخيال كغيره من الشعراء . وحسبه من ذلك هذا الوصف الذي يعده مادة شعرية كان يتلهى بها كما كانت تتلهى به نساء العرب اللواتي أدركن أنه شاعر يقف عند وصف ماظهر له من محاسن المرأة يقول على لسان نعم : (٧٤)

سَلَبَ القَلْبَ دَلُّها ونَقيٌّ   مثْلُ جيد الغزال يعلُوهُ نَظْمُ
وَبتيلُ عبلُ الروادف كالقَو   زَ من الرّمل قد تلّبد فَعْمُ
ووضيءٌ كالشمس بيَن سَحَاب   رَائحُ مُقْصرَ العشّية فَخْمُ
وشتيتٌ أحوى المراكز عذْبٌ   مالهُ في جميع ماذيقَ طَعْمُ
طَفْلةٌ كالمَهاة ليس لمَن عا   ب إذا تُذْكرُ المعايبُ وصْمُ
هكذا وصْفُ ما بدا لي منها   ليس لي بالذي تَغيّب علْمُ
غير أنّي أرى الثياب ملاءً   في يفاع يزين ذلك جسْمُ

وعُمر وإن فصل في وصف مفاتن من ذكرهن من صاحباته ، وظهر على أكثر غزله فيهن مايعد خروجا على تقاليد الصون والحفاظ على الأعراض والأخلاق ، إلا أنه كان ٥
يلح ويعلن عن سمو أخلاقهن وبعدهن عن مواطن الريب والشبهات ، يقول في زينب الجمحية : (٧٥)

قَمَرْتُه فُؤَادَه أُخْتُ ريم   ذاتُ دلّ ، خريدةٌ ، معْطَار
طَفْلَة ، وعثةُ الروادفِ ، خَوْدٌ   كمَهاةٍ انسابَ عنها الصُوار

---

(٧٤) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٩٧ .

(٧٥) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ١٨ .

حُرةُ الخد، خدلَةُ الساق مهضو مَةُكَشْحٍ يَضيقُ عنها الشـّعار

وكما ألح على إظهار مفاتنها حرص على تأكيد عفتها وشرفها ، يقول :

إنـها عـفة عـن الـخلق الــوا ضع ، والطعمة التي هي عار

ولعل من المفيد ونحن بصدد الحديث عن عفة عمر أن نشير إلى ظاهرة يمتاز بها ديوانه . وهي أن عُمر وإن اهتم برسم جسد المرأة وجمالها ، فقد خالف من سبقه من شعراء الغزل حين صرف عنايته إلى المرأة نفسها ، ووصف حديثها وحوارها ، ونقل إلينا مايدور بينها وبين صاحباتها ، ومايكون بينهن من حديث وحوار . كما صور لنا في معظم قصائده انتصاره في الحب وكلف النساء به وحرصهن على أن يظهرن في شعره أو يستمتعن بإنشاده . يقول على لسان إحداهن : (٧٦)

هذا الذي يَسْبي الفـُؤاد ولا يكني ولكن باح في الشــعر

وقوله : (٧٧)

كَتبتْ تعتبُ الرّبابُ ، وقالَتْ قد أتانا ما قُلْتَ في الأشْعـار

سادراعامدا تُشَهِّرُ باسْـمي كي يبُوح الوشاةُ بالأسْـرار

فاعْتزَلْنا فلن نُراجعَ وصْـلاً ما أضاءتْ نجومُ ليل لسَـار

قُلتُ لا تصرمي لتَكثير واش كاذب في الحديث والأخبـارَ

لم نبُحْ عنده بسر ، ولكـنْ كذبٌ ما أتاك ، والجبـار

لا تُطِيعي فإنّني لم أُطِعْـهُ أنْتِ أهوى الأحْباب والأجْوار

وقوله : (٧٨)

وبك الهم مامشيت صحيحا وسوارى الأحلام والأشعـار

وقوله : (٧٩)

قالت : لو أن أبا الخطاب وافقنا فنلهو اليوم أو ننشد أشعـارا

---

(٧٦) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، مقطعة ٣٣٣ .

(٧٧) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، م ٢١ .

(٧٨) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ١٨ .

(٧٩) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ١٠ .

وقوله: (٨٠)

أَرْسلَتْ تعْتبُ الرّبـابُ، وقالتْ: قد أتانا ما قلت في الإنْشـاد
قلت: لا تغَضبي، فدى لك قولي بلساني، وما يجن فـؤادي
ثم لا تغْضَبي، فداؤُك نفسـي ثم أهلي وطارفي وتَـلادي
إن تعودي تَكن تهامـةَ داري، وبنجْد إذا حللْت مَعَـادَي
أنت أهوى إليّ من سائر النـَا س ذريني من كثْرَة التعـدَاد

لقد كان عمر طالب لهو حول مغامراته اللاهية مع تلك الفئة من اَلنساء إلى شعر يلهو الناس بإنشاده وترديده وغًنائه.

والنوع الثاني في ديوان عمر قصائد ومقطعات تصور تجارب خيالية، وهذا النوع اعتمد فيه عمر على الأسلوب القصصي. ويظهر أن القصة في تلك القصائد والمقطعات كانت فنا تعمده الشاعر. فقد جعل منها أساسا لبنائه الفني، كما عبر من خلالها عن معانيه وأفكاره وعواطفه ومشاعره. وقد عرف معاصروه من شعراء الغزل أن تجاربه التي عبر عنها لم تكن كلها مستمدة من واقع حياته وسلوكه.

فنصيب يقول عنه وعن أصحابه: «جميل أصدقنا شعرا، وكُثير أبكانا على الظعن، وابن ربيعة أكذبنا، وأنا أقول ما أعرف.» (٨١) فعمر في رأي النصيب بن رباح قد تفوق عليهم في تأليف قصص الحب، وتخيل أحداثها، وفي قدرته على وصف المرأة وترجمة عواطفها ومشاعرها. وهذا الاتجاه في شعره ظهر جليا في أكثر من قصيدة ومقطعة. (٨٢) وتعد رائيته «أمن آل نعم» (٨٣) التي طيرت شهرته بين الشعراء وميّزته عن سابقيه ومعاصريه

---

(٨٠) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة*، م ١٤٨.

(٨١) المرزباني، *الموشح*، ١٤٩، ١٨٦.

(٨٢) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة*، انظر على سبيل المثال القصائد التي تحمل الأرقام التالية: ٢، ٦، ١٠، ١٦، ١٩، ٢٢، ٢٣.

(٨٣) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة*، ق ١. وحول رأي جرير في هذه القصيدة انظر: الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٨٢، ١٧٣. ولرأي الفرزدق في نسيب عمر انظر: الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٧٥، ١١٦، ١٤٩.

من شعراء الغزل خير مثال في هذا الموضوع . ففي هذا النص تخيل عمر أحداثا لم تقع فوصفها . كما استطاع أن يترجم عواطف المرأة وأهواءها وعلاقتها مع الرجل . وقد صاغ ذلك بأسلوب قصصي فيه شيء من الواقع وشيء أكثر من الخيال . فعمر حين وصف مجيئه من أجل لقاء صاحبته ، قص أحداث مغامرته بشيء من الواقعية . فقد تجشم الطريق ، وترك ناقته في العراء ، وبات خائفا حذرا ، يترقب نوم السمار والحراس وإطفاء المصابيح وغياب القمر وعودة الرعيان . وحينما خفض عنه الصوت أقبل يمشي نحو خباء صاحبته بحذر . كما قدم عمر في هذا النص المطول وصفا واقعيا للحالة النفسية للمرأة التي فاجأتها الزيارة . وجميع هذه الصور التي حكاها عمر واقعية والواقعية هنا لاتعني بالضرورة أن يكون عمر نفسه هو بطل الموقف . أو أنه بذلك يحكي حادثة وقعت له بالفعل . فدوره كشاعر فنان تمثل في نقل صورة متخيلة مستمدة من واقع الناس وسلوكهم .

والرائية التي تتخذ دائما نموذجا لتصوير مغامرات عمر تقع في خمسة وسبعين بيتًا يمهد الشاعر فيها للقاء بأربعة وثلاثين ثم يكتفي من الحديث عن هذا اللقاء بقوله :

فبت قرير العين أعطيت حاجتي   أقبل فاها في الخلاء فأكثر

وهذه المتعة الحسية كما لاحظ الدكتور القط : « لاتتناسب مع الجهد الذي صوره الشاعر قبل اللقاء ، وكأنما كان هدف الشاعر أن يصور هذا الجهد وذلك الاحتيال للقاء بكل مايحملان من لحظات نفسية ، فإذا انتهى إلى اللقاء كان حسبه من الحديث عنه مجرد الإشارة أو الرمز . » (٨٤) ومن يمعن النظر في ديوان عمر يتفق مع ما ذهب إليه الدكتور القط من أن عمر قلما عني في شعره بالوصف الحسي المفصل للجمال الجسدي والمتع والشهوات . فشعره أبعد ما يكون عن الحسية بمعناها المعروف في الأدب والفن .

ولم يغب عن ذهن الدارسين المحدثين أن عمر وهو يتجه هذا الاتجاه القصصي في نظم قصائده كان يتكثر من الجزئيات ، ويتزيد من الأحداث ويبتدع في الوقائع .

يقول شكري فيصل : « ولعله أضحى واضحا أن خيال عمر انطلق من هذا القص يجمع تلاوينه ويختلق أطرافه وينفخ فيه حتى يكون شيئا آخر غير طينته الأولى . . . . إن

---

(٨٤) القط ، *في الشعر الإسلامي والأموي* ، ١٧٤ ، ١٧٥ ؛ وانظر : صلاح الدين الهادي ، *اتجاهات الشعر في العصر الأموي* ، ٤٠٨ .

أصول هذه الأحداث قد تكون من الواقع . . . قد تكون من واقعه أو مما يسمعه ويلقى إليه، ولكن الصورة التي يعرض فيها هذه الأحداث ليست قط صورة هذا الواقع وإن كانت تنطلق منه وتحوم حوله . »[٨٥]

أما جبرائيل جبور فيرى أن عمر قد أبرز القصة في شعره في مواضع كثيرة ، بحيث خرجت القصيدة عن أن تكون سردًا لواقعة تمت له ، أو تجربة مر بها ، بل أصبحت إهابًا شعريًا لقصة وضعها أو تخيلها أو تمنى أن تحدث له .[٨٦]

أما يوسف خليف فيرى أن هذا الاتجاه القصصي في شعر عمر « دفعه إلى التزيد والتكثر في أخباره الحقيقية، وإلى الاختراع والتخيل في أخباره التي لم تقع في الحقيقة ، وذلك لأن طبيعة القصاص تدفع عادة إلى التزيد من الواقع وتخيل أحداث لم تقع . »[٨٧]

أما خليل أبو عودة فهو يرى في الرائية كقصة أحداثا واقعية ومنطقية ، ولكنها ليست حقيقية ، فهي من نسج خياله وليست من واقع حياته .[٨٨]

وفي ديوانه تصادفنا أكثر من قصيدة قص فيها عمر حكاية زيارة مفاجئة لحبيبته[٨٩] مما يجعلنا نقول إن عمر اختار هذا النهج ، وهو أسلوب القصة الخيالية وانتحله لوصف مغامراته بحيث أصبح من السهل أن يعرف شعره ويميز من غيره .

وتعد دراسات شوقي ضيف لغزل عُمر بن أبي ربيعة رائدة لتنوعها وسبقها ، فهو يعد من بين الرواد الأوائل الذين كتبوا دراسات جادة وممتعة عن سيرة عُمر وشعره . وفي دراسة له عن عمر يرى « أن الخيال لعب دورًا مهمًا في هذا القصص ، كما يلعب عادة في أقاصيص من يقصون إذ يخرجوننا من عالمنا إلى عالم جديد لهم ، يملئونه بخيالاتهم . وكذلك كان عُمر في كثير من جوانب ديوانه يملؤه بكثير من أخليته ، فهو قصاص في غزله ،

---

(٨٥) فيصل ، *تطور الغزل* ، ٤٧٠ .

(٨٦) جبور ، *حب عمر بن أبي ربيعة وشعره* ، ٤٤٢ .

(٨٧) خليف ، *تاريخ الشعر العربي* ، ٨٣ .

(٨٨) أبو عودة ، *صورة المرأة* ، ٢٧٦ .

(٨٩) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، انظر على سبيل المثال القصائد التي تحمل الأرقام ٣١ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١١١ .

يتخيل ثم يقـص ماتخيل سواء حين يصف مغامراته كما صنع في الرائية ، أو حين يصف أحاديث النساء فيه وتعلقهن به . » (٩٠)

ويرى بعض الدارسين أن اتجاه القصص في غزل عُمر غاب عن فهم بعض الرواة فاضطربوا في الحكـم على عفته . وإنما أوقعهم في هذا الوهم أنهم تصوروا شعره يحكي واقعًا عبر عنه الشاعر . وغاب عن أذهانهم أنه كان يستوحي الخيال ، ويعبر عن تجارب متخيلة أكثر مما يعبر عن تجارب واقعية . (٩١)

ومن يمعن النظر في قصائد عُمر يدرك أن غاية الشاعر الأولى كانت غاية فنية . يقول الدكتور القط في هذا المعنى : « ولم يكن هم الشاعر أن يصف متعة ، أو أن يتحدث عن شهواته أو يصف محاسن صاحبته وصفا تفصيليا « حسيا » يمكن من أجله أن تطلق عليه هذه الصفة . » (٩٢) ويقول شوقي ضيف : « من المبالغة أن تسمي بعض شعره غزلاً ماديا ، فلا مادية فيه، إنما فيه القصة وخيال القصاص . ولعل هذا غاب عن القدماء فقد اضطربوا في عمر . أعفيف هو أم غير عفيف ، ونسوا أن ابن عباس كان يحفظ كثيرا من شعره ، وكأنه عرف أن عمر إنما يقص ويحاول أن يبرز ، كعادة القصاصين ، العناصر العاطفية في المجتمع . »(٩٣)

أما النوع الثالث من ديوانه فهو الذي يصور فتكه وغدره . لقد قيل إن عُمر بن أبي ربيعة عاش ثمانين سنة ، فتك فيها أربعين ، ونسك أربعين . (٩٤) والفتك في اللغة هو «أن يأتي الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشد عليه فيقتله(٩٥) ثم جعلوا كل من هجم

---

(٩٠) ضيف ، *التطور والتجديد* ، ٢٥٧ .

(٩١) الهادي ، *اتجاهات الشعر* ، ٣٥٤ .

(٩٢) القط ، *في الشعر الإسلامي والأموي* ، ١٧٤ .

(٩٣) ضيف ، *الشعر والغناء* ، ٢٦٥ .

(٩٤) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٧٧ .

(٩٥) إسماعيل بن حماد الجوهري ، *الصحاح* ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٢ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ٤ (مادة فتك) : ١٦٠٢ ؛ وانظر مادة (فتك) في *تهذيب اللغة* وفي *لسان العرب* .

على الأمور العظام فاتكا.»[٩٦]

لقد كان عُمر يفضح الحرائر من الحواج ويترصدهن، فلا تكاد تقع عينه على فتاة حسناء حتى يتعلق بها ويفرد لها القصائد. ومعظم هذا الشعر الذي خص به عمر الجميلات القادمات إلى الحج هو من هذا النوع الذي كان عُمر لايبالي فيه من أن يهتك ستر من يرد اسمها في شعره. وهذا الشعر الذي تحدث فيه عُمر عن هذه اللقاءات التي تتم في مواسم الحج كان في مجمله مقطعات فصادف هوى في نفوس المغنين فتلقوه عن عُمر فغنوه فذاع واشتهر.

وإذا كان عُمر اختار أن يكون موسم الحج موسم لهو وعبث مع إدراكه لما ينطوي عليه صنيعه هذا من استخفاف وتهور بحرمة هذه المناسك وماينبغي فيها من تعفف وتقوى، فإن صنيع عمر وإن صادف هوى واستحسانا عند فريق من الناس فإنه بالمقابل كان يثير فريقا آخر كان يغار على حرمات الله أن تنتهك. فعبد الله بن عمر عتب عليه حينما أنشده:

ليت ذا الدهر كان حتمًا علينا كل يومين حجة واعتمارا

فقال له أما تتقي الله؟ فقال له عُمر: بأبي أنت وأمي! إني وضعت ليتا حيث لا تغني.[٩٧] وغير عبد الله بن عُمر أنكر على عمر تهتكه ووصفه للغواني، وجرأته وهو يتحدث عن هذه اللقاءات التي خص بها مواسم الحج. وكان على رأس هؤلاء بعض خلفاء الأمويين الذين أخذوا على عُمر مواقفه من الغي واللهو. وكان من بينهم عبد الملك بن مراون[٩٨] وسليمان بن عبد الملك[٩٩] وعُمر بن عبد العزيز.[١٠٠] ويزعم بعض الرواة أن سليمان ابن عبد الملك لقي مرة أثناء الحج عُمر بن أبي ربيعة فمنعه من الحج وأمر بإخراجه إلى الطائف حتى قضى الناس حجهم.[١٠١]

(٩٦) محمد بن أحمد الأزهري، *تهذيب اللغة*، تحقيق علي حسن هلالي ومحمد علي النجار (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.)، ١٠: ١٤٩.

(٩٧) الأصفهاني، *الأغاني*، ٩: ٦٣.

(٩٨) راجع الحاشيتين ١٥، ١٦.

(٩٩) الأصفهاني، *الأغاني*، ٩: ٦٧.

(١٠٠) الأصفهاني، *الأغاني*، ٩: ٦٤.

(١٠١) الأصفهاني، *الأغاني*، ٩: ٦٧، ٦٨.

لقد كان عمر يقصد النساء في الطواف ويترصدهن وهن يقبلن الحجر . كما كان يتعقبهن وهن يرمين الجمرات . وكان يعلن على رؤوس الملأ ما قد يقع عليه نظره من محاسن النساء غير عابئ بحرمة زمان أو مكان .

يقصد الناس للطواف احتسابا وذنوبي مجموعة في الطواف (١٠٢)

لقد حول عُمر موسم الحج من موسم عبادة إلى موسم للجمال لايصح أن يفلت منه ، بل عليه أن يستغله في اللهو ويمتع بصره بمنظر الحسان اللواتي يَرُحْن لرمي الجمار يقول عُمر : (١٠٣)

وكَمْ من قتيـل لا يَباءُ بـه دَمٌ ومن غَلَق رَهْنا إذا ضـمّهُ مِنَى
ومن مالئ عينيْه من شيء غيره إذا راح نَحْو الجمرة البيضُ كالدُمى
فلم أر كالتّجْمير منْظَر ناظر ، ولا كليالي الحجّ أفلتن ذا هـوى

وفي ديوان عُمر وروايات الأغاني الكثير من الأخبار والأشعار التي تعرض للهو عُمر وعبثه . لقد جعل عُمر من مناسك الحج موضوعا لغزله . فشعره يزخر بذكر صبواته ووصف مغامراته ، فهو يترصد نساء الطبقة الراقية وهن في الطواف أو عند الركن وتقبيل الحجر الأسود . كما يزعم أنهن هن اللواتي يتعرضن له ليفسدن عليه طوافه يقول : (١٠٤)

أبْصرتُها ليلـةً ونسوتُهَـا يمشين بين المقام والـحجـر
بيضا حسانا خرائدا قُطُفَـا يمْشين هوْنا كمشْية البقـرَ
قد فُزْنَ بالحسْنِ والجمال معـا وفُزْن رسْلاً بالـدّلّ والخفَـرَ
يُنْصتْنَ يوما لَها إذا نَطَقـتْ كيْمَا يُفضّلْنها على البشـرَ
قالتَ : ـ لترْب لها مْلاطفـةً ـ لتُفْسدنّ الطواف في عمـرَ
قالت : تَصَدّيْ لها ليبْصرَنـا ثم اغْمَزيه ، ياأختُ، في خفرَ
قالت لـها : قد غمزتُهُ فأبـى ثم اسبطَرتْ تسـعى على أثري

(١٠٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، *عيون الأخبار* (القاهرة : نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د . ت .)، ٤ : ١٠٧ .

(١٠٣) *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٢٩٦ .

(١٠٤) *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ١٢٨ .

لقد كان عُمر يترصد الحواج وهن بمنى أو مقبلات من عرفات . كما كان يتبعهن عند رمي الجمرات أو بعد التشريق أو عشية النفر يقول : (١٠٥)

لقد عرضت لي بالمحصّب من منى لحَيْنى شمسٌ سُتّرتْ بيمان
بدا لى منها معصمٌ يوم جمّرت وَكفٌ خضيبٌ زُيّنتْ ببنان

وقوله : (١٠٦)

صاد قلبي اليوم ظبى مقبل من عرفات
في ظباء يتهادى عامدا للجمرات

وقوله : (١٠٧)

خرجت غداة النّفر اعترضُ الدّمَى فلم أر أحلى منْك في العين والقلب
فوالله ما أدرى أحُسْنا رُزقْته أم الحبُ أعْمَى كالَذي قيل في الحب

إن الحج هو الفرصة التي من خلالَهاَ يمكنَ لعمر رؤية نساء هذه الطبقة يقول : (١٠٨)

حي الرباب وترْبها أسْماء قبل ذَهَابها
مانلتقي إلَا إذا نزلَتْ منًى بقبَابها
في النَّفْر أو في ليلة التّحْصيب عند حصَابهَا

وقوله : (١٠٩)

قد هاج حُزْني وعادني ذكَري يوم التقينا عشيّة النّفْر
بالفَجَ من نحو دارعقبة والحجُ سريع الطواف والصدْر

---

(١٠٥) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ق ١١٣ .

(١٠٦) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، م ٢١٤ .

(١٠٧) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، نتفة ٣٤٢ .

(١٠٨) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ق ٢٠٩ .

(١٠٩) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ق ٢٩ .

وقوله : [١١٠]

عُوجي علي فَسَلّمي جبرُ   فيم الصدُودُ وأنتم سفْرُ
مانلْتقي إلا ثلاثَ منى   حتى يُفرّق بيننا النّفرُ
الحولُ ثم الشّهرُ يتبعُهُ ،   ما الدهرُ إلا الحولُ والشهرُ

ويغالي عُمر فيزعم أن هؤلاء النسوة قصدن هذه المواسم للهو والعبث ، ولم يخرجن للحج طلبا لأداء الفريضة والنسك . وإنما كان الدافع لقدومهن إلى مكة هو حرصهن على رؤية عمر يقول : [١١١]

أوْمَتْ بعينيها من الهَوْدَج   لولاك في ذا العام لم أحْجُج
أنت إلى مكة أخرجتني   ولو تركْتَ الحجّ لم أخْرُجِ

ويزعم أن المرأة هي التي تلاحقه وتغريه ، وتسترق النظر إليه وتكشف له عن محاسنها . يقول : [١١٢]

فإذا ماراحَ فاستلمي   إنْ دنَا في طَوْفه الحجرا
وأشقّي البُرْد عنْك لَه   كي تُشوقيه إذا نَظَرا
فأرتْني مُسْفرا حسَنا   خلْتُهُ إذْ أسفَرتْ قمرا
وشتَيتَ النبَت مُتّسقا   طَيبا أنيابُهُ خَصرا
لشقائي قادني بصرَى   ولحيْن وافق القَدرا
ثم قالت للتي معها :   لا تُديمي نحوه النّظَرا
خالسيه أُخْت ، في خفر   فوعيَتُ القول إذْ وقَرا
إنّهُ يا أخَت يصرمُناً   إن قضى من حاجة وطرا
قلت قد أعطيتَ منزلةً   ما أري عندي لها خَطرا
فأنيلي عاشقًا دنَفا   ثم أخْزى الله من كفرا

وتحزن المرأة كما يحزن َعُمر على انقضاء الموسم ، فيعقد الأمل على لقاء يتجدد في

(١١٠) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، م ٤٦ .
(١١١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، نتفة ٣٥٣ .
(١١٢) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ق ٤٢ .

عام مقبل يقول : (١١٣)

إن ينسنا الموت ويؤذن لنـــا   نلقك إن عمرت بالموســـــم

وقوله : (١١٤)

وما من لقاء يرتجى بعد هــذه   لنا ولهم دون التفاف المجمـــر

وقوله : (١١٥)

ثم انصرفت وكان آخر قولها   أن سوف يجمعنا إليك الموسم

وقوله : (١١٦)

فقلت لهم سيروا فإن لقاءها   توافى الحجيج بعد حول مكمل

وإذا كان بعض النساء - كما يزعم عُمر - قد تعرضن له وحاولن إغراءه ، فإن فريقًا آخر كان يتحاشى عمر ويداريه . ففي رواية للأصفهاني قال : « ولم يزل عمر ينسب بعائشة بنت طلحة بن عبد الله أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها ، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة ، فنظر إليها فقالت : أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق ! فقال : (١١٧)

إني وأوّلَ ما كَلِفْتُ بذكرهـــا   عجبٌ وهل في الحب من متعجّب
نَعَتَ النساء فقلَت لست بمبصر   شبهـا لـها أبـدا ولا بمقــــــرّب
فمكثْنَ حينا ثم قلن توجّهــتً   للحج ، موعدها لقاءُ الأخشـــب
أقبلتُ أنظر مازعَمْنَ وقلـن لي   والقلبُ بين مصدق ومكـــــذّب
فلقيتُهَا تمشي تهادي موهنـــا   ترمي الجمار عشيةً في موكـــب
غراء يعشى الناظرين بياضهـا   حوراء في غلواء عيش معجـــب
إن التي من أرضها وسمائهـــا   جلبت لحينك ليتها لـم تجلــــب

---

(١١٣) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٧٩ .

(١١٤) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٢ .

(١١٥) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٨٩ .

(١١٦) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ١٩٦ .

(١١٧) شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، ق ٢٥١ .

هذه بعض أمثلة لما ورد في ديوان عُمر ، اكتفيت منها بهذا القدر من الشواهد التي تصور جرأة عُمر واستهتاره بركن من أركان الإسلام العظيمة . والغريب في صنيع عُمر ليس فيما قصه عن مطاردة النساء ، أو في ولوعه في الكشف عن مغامراته وصبواته ولكن المثير للعجب والدهشة هو تهتكه بلا حرج واختياره لموسم الحج ليكون موسم عبث ولهو يتلهى به مع إدراكه لحرمة الموسم وقداسته . ومع أننا ندرك أن ألوان هذه الصلات التي تحدث عنها عُمر في شعره ، وتصنع الجرأة فيها ، وأسرف في الحديث عن لقاءات مزعومة كانت تتم بينه وبين النسوة في موسم الحج . واستعمل لها صورا من التعبير كانت تجاوز حدود العفة وتتنافى مع قدسية المكان والزمان ، إنما هي في معظمها صور متخيلة ، افتعلها الشاعر وعبر عنها من واقع الحياة . ولعل في خبر عمر مع عائشة بنت طلحة خير شاهد يؤكد صحة هذا الافتراض . فقد تعرض عُمر لعائشة في موسم الحج ونظم فيها الأشعار وأنشدها قوله فيها : (١١٨)

يا ربة البغلة الشهباء هل لكم ... أن ترجمي عمرا؟ لا ترهقي حرجا
قالت : بدائك مت أو عش تعالجه ... فما نرى لك فيما عندنا فرجا

وحينما أتم إنشادها قالت له « ورب هذه البنية ما عنيتنا طرفة عين قط . » (١١٩)

ومطاردة عمر للمرأة الحاجة واختلاس النظر إليها في الطواف أو عند رمي الجمرات وإشهاره ذلك في شعره يوحي بأنه كان عابثا يتلهى بهذه التصرفات التي تصدر منه . وحسبه من ذلك هو لقاء النسوة والتحدث إليهن . فهو يعبث ويلهو بمقدار ما تسمح به التقاليد . وعمر وإن جعل من المرأة في شعره منسكا من مناسك الحج ، وتمرد بذلك على التعاليم الإسلامية التي تدعو إلى الصون والعفاف واندفع يصور نزواته ويبوح بصبواته ، فربما يفسر رصده للحواج في شعره وإفراده لهن القصائد والمقطعات ، بأنه كان وليد التحضر الذي أصاب الحجاز في عصر عُمر . كما أنه ثمرة الدعة والفراغ الذي كان عليه الحجازيون في تلك الفترة . فقد عرفوا بصنوف من الثراء نتيجة الفتوحات وبسط الأمويين لهم الأموال ليشغلوهم بذلك عن السياسة وأمور الحكم . كل هذه العوامل وغيرها جعل فئة

---

(١١٨) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٢٠٠ ، ٢٠١ .
(١١٩) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٢٠٢ .

كبيرة من الناس في الحجاز تنصرف إلى اللهو وتلوذ به . ولذلك شاع الغناء في الحجاز دون غيره من أمصار الدولة الإسلامية في عهد الأمويين كما أن المرأة العربية المترفة احتلت مكانتها وتمتعت بقدر من الحرية جعل البعض منهن لا يتحرج من مقابلة الشعراء والتعرض لهم ليتغزلوا بهن ، ويذكروهن في أشعارهم . ومن خلال تلك الأشعار لمعت أسماء في دنيا الفن والأدب .

وعُمر الذي لم يترك إمرأة جميلة تحج دون أن يتغنى بها ويصف محاسنها يؤكد - كما ورد في أكثر من رواية في *الأغاني* - عفة علاقته بتلك المرأة التي ورد ذكرها في شعره . ففي روايتين في *الأغاني* : جاء في الأولى التي تنسب إلى عبد العزيز بن عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة قال : « أشرف عُمر بن أبي ربيعة على أبي قبيس ، وبنو أخيه معه وهم محرمون ، فقال لبعضهم : خذ بيدى فأخذ بيده ، وقال : ورب هذه البنية ماقلت لامرأة شيئا قط لم تقله لي ، وماكشفت ثوبا عن حرام قط . قال : ولما مرض عُمر مرضه الذي مات فيه جزع أخوه الحارث جزعا شديدا . فقال له عُمر : أحسبك إنما تجزع لما تظنه بي ، والله ما أعلم أني ركبت فاحشة قط ! فقال : ماكنت أشفق عليك إلا من ذلك ، وقد سليت عني . »(١٢٠)

وفي الرواية الثانية التي حدث بها المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : « حججت مع أبي وأنا غلام وعلي جمة . فلما قدمت إلى مكة جئت عمر بن أبي ربيعة ، فسلمت عليه وجلست معه فجعل يمد الخصلة من شعري ثم يرسلها فترجع على ماكانت عليه ، ويقول : واشباباه ! حتي فعل ذلك مرارا . ثم قال لي : يابن أخي ، قد سمعتني أقول في شعري : قالت لي وقلت لها ، وكل مملوك لي حر إن كنت كشفت عن فرج حرام قط ! فقمت وأنا متشكك في يمينه ، سألت عن رقيقه فقيل لي : أما في الحوك فله سبعون عبدا سوى غيرهم . » (١٢١)

لقد صور عُمر كما صور غيره من شعراء الغزل أخبار المجتمع في الحجاز بنسائه وفتياته . وكان عُمر يرى في الحج فرصة هائلة للاستعراض . فهو كما ذكر شوقي ضيف

---

(١٢٠) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٧٧ .

(١٢١) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٧٧ ، ٧٨ .

« كان يستعرض الفتيات والنساء ممن اشتهرن بالجمال في بلدانهن أو في أنحاء العالم الإسلامي ، وكان يجد في تتبعهن واستعراضهن لذة لا تقدر . »[١٢٢]

ومن خلال ماقصه عُمر في شعره من أخبار مطاردته للنساء وفتنته لهن وهن يؤدين مناسك الحج من وقوف وإفاضة وطواف وتجمير . هذه الروايات التي قصها عُمر في شعره وأعلن فيها عن لقاءات كانت تتم بينه وبين النساء في موسم الحج جعلت البعض يخلط بين ماجاء في هذا الشعر وبين الأسمار الواردة عن حياته وقد غاب عن أذهان هذا البعض أن هذا الوصف الذي قصه في شعره لم يكن يصدر فيه عُمر عن تجارب عاطفية وإنما كانت غايته من ذلك غاية فنية ، وقد حذر عدد من الدارسين المحدثين من الخلط بين ماجاء في شعرعمر وأقاصيص الرواة . يقول شوقي ضيف في هذا المعنى : « أتاحت طبيعة شعر عمر وأنه أغان تغنى في دور اللهو والسمر لحياة عمر وحياة المرأة في عصره كل هذا الخلط والتشويش اللذين نقرؤهما في كتاب الأغاني عن عُمر وأخباره مع المرأة في زمنه . »[١٢٣]

أما الدكتور القط فيرى أن إباحية عُمر التي تصورها البعض مردها أن تلك الروايات والأسمار التي تروى عن عُمر خلقت موقفا عند أغلب الدارسين من شعره ، فهم يقبلون عليه وقد قر في نفوسهم ماعلموا من لهوه وعبثه فيجدون في هذا الشعر بعض صور من ذلك اللهو والعبث يؤكد لديهم امتزاج السلوك بالفن والحياة العملية بالشعر . »[١٢٤]

وخلاصة القول فيما يتعلق بعفة عُمر وشعره نقول :

إن من يقرأ ديوانه ويتصفح روايات *الأغاني* عنه ، يلاحظ التناقض الحاد بينهما . فعلى حين تظهر معظم قصائد الديوان أن مغامراته مع النساء وملاحقته لهن في مواسم الحج وغيرها ، وجرأته في وصف صلاته بهن ، لم تكن سوى نمط من أنماط التعبير الشعري الذي اشتهر به عُمر تصوره لنا بعض روايات *الأغاني* عابثا يغري شعره بالفجور والعصيان .

هذا التباين في الحكم على شعرعمر وسلوكه لم يقتصر على رواة الأخبار ، بل

(١٢٢) ضيف ، *الشعر والغناء* ، ٢٦٠ .

(١٢٣) ضيف ، *الشعر والغناء* ، ٢٧٠ .

(١٢٤) القط ، *في الشعر الاسلامي والأموي* ، ١٧٢ .

طال ذلك أئمة أهل الحجاز وفقهاءهم . فابن جريح إمام أهل الحجاز في عصره ينهي عن شعر عُمر ويصفه بقوله « مادخل على العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر عُمر بن أبي ربيعة . »[١٢٥] وهشام بن عروة ينهى عن رواية شعر عمر فيقول : « لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطا . »[١٢٦] وأبو المقوم الأنصاري يقول عنه « ماعُصي الله بشيء كما عُصي بشعر عُمر بن أبي ربيعة . »[١٢٧] أما عبد الله بن مصعب فينهر مولاة لهم دخلت منزله وهو بفنائه ومعها دفتر ، فدعاها فجاءته فقال ماهذا معك ؟ قالت : شعر عُمر بن أبي ربيعة فقال : ويحك تدخلين على النساء بشعر عُمر بن أبي ربيعة : إن لشعره لموقعًا من القلوب ومدخلاً لطيفا ، لو كان شعر يسحر لكان هو ، فارجعي به ، قالت : ففعلت . »[١٢٨]

وفي الطرف الآخر تشير الروايات إلى أن عبد الله بن عباس استمع إلى قصيدة عمُر (أمن آل نعم) فأعجبته فكان ابن عباس بعد ذلك كثيرا مايقول : « هل أحدث هذا المغيري شيئا بعدنا ؟ »[١٢٩] وأنشد عُمر القصيدة نفسها لطلحة بن عبد الله بن عوف الزهري وهو راكب فوقف ومازال شانقًا ناقته حتى كتبت له . »[١٣٠] أما سعيد بن المسيب فيفاضل بين شعر عبيد الله بن قيس الرقيات وشعر عمر بن أبي ربيعة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .[١٣١] هذا التفاوت في الحكم على أخلاق عمر وشعره سببه اختلاف بين نظرتين ، الأولى تحاسب الشاعر على أقواله ، وتحسبها من معتقده . والأخرى تنظر إلى الإبداع الفني بمعزل عن المنظور الأخلاقي فهي تتسامح أمام بعض الضوابط الأخلاقية التي لا تجافي الأخلاق السليمة ولا تنافي العفة ، وتفهم الشعر على أنه زاد فني ، له طبيعة خاصة تتيح للشاعر أن يتخيل الأشياء فيصفها . وكلما صدق

(١٢٥) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٧٤ .
(١٢٦) الأصفهاني ، الأغاني ، ١ : ٧٤ .
(١٢٧) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٧٦ .
(١٢٨) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٧٨ ، ١٠٧ .
(١٢٩) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٧٣ .
(١٣٠) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ٨١ .
(١٣١) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ١١٣ .

الشاعر في تجاربه وأخلص في وصف مشاعره ، كلما كان ذلك أدعى لقبول شعره في نفوس سامعيه .

لقد استحسن ابن أبي عتيق شعر عُمر بن أبي ربيعة وقدمه على غيره من شعراء الغزل مع إدراكه أن شعره يغري بالعصيان ويوهن عرى الأخلاق ، ويتجرأ على المحارم . ومع ذلك فضله على غيره واغتفر له إباحية بعض صوره ومعانيه مع إيقاعها في المعاصي . والسبب يرجع في نظره إلى جودة شعرعمر وقوة تأثيره في نفوس سامعيه .[١٣٢]

وفي الطرف المقابل نجد سكينة بنت الحسين تعترف بعفة شعر جرير وترى في تلك العفة سببا أدى إلى ضعف شعره .[١٣٣]

أما الخليل بن أحمد فيمنح الشعراء مطلق الحرية في الكلام فهم من وجهة نظره «أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا . ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده . . . ويحتج به ولا يحتج عليهم ويصورون الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل . »[١٣٤]

وبالنظر لشعر عمر بن أبي ربيعة نجد أنه أحيانا لا يتحرج في شعره ولا يعترف بمعايير السلوك الأخلاقي التي تعارف عليها الناس وتوارثوها ، لكن الحكم على الإبداع الفني يجب أن يظل بمعزل عن المعيار الأخلاقي . وهكذا تعامل عبد الله بن عباس وغيره من

(١٣٢) الأصفهاني ، *الأغاني* ، ١ : ١٠٨ . قال أبو الفرج في خبر له : « ذكر شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام فقال : صاحبنا - يعني الحارث بن خالد - أشعرهما فقال له ابن أبي عتيق : بعض قولك ياابن أخي ، لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب ، وعلوق بالنفس ، ودرك للحاجة ليست لشعر وماعصي الله عز وجل بشعر أكثر مما عصي بشعر بن أبي ربيعة ، فخذ عني ما أصف لك : أشعر قريش من دق معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه وأنارت معانيه ، وأعرب عن حاجته» .

(١٣٣) المرزباني ، *الموشح* ، ١٥٢ .

(١٣٤) حازم القرطاجني ، *منهاج البلغاء وسراج الأدباء* ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، ط ٢ (بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨١ م) ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

فقهاء المسلمين مع شعر عُمر . لقد استمعوا إليه وأعجبوا به لأنهم فهموه زادًا فنيًا لا يخدش حياءً ولا يجرح ذوقًا. صحيح أن عمر قد أسرف في الحديث عن مغامراته وصبواته، لكنه يظل في النهاية شاعرا يهيم في بحور خياله . وحسبه أنه أخلص لفنه ، وعبر عن تحولات عصره ، ولذا تحدث بجرأة عن ألوان من الصلات كان الناس يتحرجون من الحديث عنها . وحينما خرج عمر على المألوف ، ولم يتحرج في شعره كما فعل غيره من قبل ، نظر الناس إليه بريبة وتخوف وحذر. ونسوا أنه صاحب نهج تفرد به ومضى يعبر عنه غير عابئ بأعراف أو تقاليد . حسبه من ذلك أنه أخلص لفنه واستجاب لأهواء عصره ، وحقق لقصيدته ضروبا من الإبداع في الشكل وفي المضمون . ويظل قبل هذا وبعده الشاعر العفيف الذي (يصف ويقف ويحوم ولا يرد).

The Integrity of Omar Ibn Abi Rabe'a between Reality and Descriptivism

Abdullah Sulayman Al-Jarboa

Associate Professor, Arabic Department, College of Arts

King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. As far as love poetry is concerned, Omar b. Abi Rabe'a is certainly the most outstanding poet during the Umayyad era. Not only did he express his love in a refined poetic diction, but he also made it his topic to depict ladies' love for him in a great number of encounters. For his poetic theme he pursued women of prestige, beauty and high social rank; the women of his time also loved to stand in his way to get fame through his poems which were often put into music and songs. The Mekkan society seemed to have loved and enjoyed this fair game.

Narrators in his time and afterwards had expanded and expounded his biography, especially the part of his life that touches upon the question of love and women. The picture they gave of him varied largely. Some saw him as doing exactly what he says in his poems, others saw him as saying what he never did. Taking this controversial issue as a starting point for discussion, this paper will deal with a number of his poems in an attempt to come to a reasonable and modern reading of Omar's poetic discourse.